بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

يقول إديسون : ليس فى هذا الوجود من نحنى له الرأس إجلالاً عن حب وتقدير إلاّ صُنّاع الزاد للإنسانية . .

وحينما اعترض صديقه فورد قائلاً : إذن فأنت تفضل رجال الحقول على عمال المصانع . ضحك إديسون قائلاً : لست أعنى هؤلاء ؛ إنما أقصد زاد الأرواح ، أقصد رسل الفكر من رجال الفلسفة والدين والأدب والفكر .

وهذا حق ؛ لأن رجال الفكر إنما هم تتمة للموكب الخالد ، موكب الرسالات السماوية ، التى احتضنت الروح الإنسانى وربّته وهذبته ، وأخذت بيده إلى المعانى العليا ، والمثالية التى تسمو بالحياة ؛ لتكون جديرة بعالم يصدر عن الله .

وليس من شك فى أن الفيلسوف الحكيم الشيخ « طنطاوى جوهرى » فى مقدمة هؤلاء الأعلام من رجال الفكر العصريين الذين لا نزال إلى اليوم نذكرهم بكل إجلال وبكل تبجيل وإكبار ، وسنبقى ويبقى أولادنا وحفدتنا وحفدة أولادنا متأثرين بمحاولاته الإصلاحية فى الأدب والدين وبتعاليمه التقدمية . سواء ذلك فى جمهورية مصر العربية وطنه العزيز ، وفى العالم الإسلامى الذى كان فيه خير مصلح دينى ، أم فى الشرق كله حيث كان يمد بصره وبصيرته فى جوانبه ، فيفزع لهزيمته وتأخره وتخلفه عن الغرب ، فيحاول أن ينفخ فيه روحاً فتية عساه أن يستعيد مجده ، ويسترد سلطانه وجلاله .

وقد اختلف الناس فى الحكم على الشيخ طنطاوى والنظر إلى عمله وجهاده ، ولهم العذر كل العذر فى أن يختلفوا ؛ فالآراء مع تباينها ، والأنظار مع تخالفها وتفاوتها فى الدرجات - مجمعة على أن شيخنا الجليل بطل من أبطال الإسلام ، وفيلسوف من فلاسفة الشرق ، وحكيم من حكماء العصر ،

إلاّ أنه اختلف فى مرتبته بين الحكماء : هل هو حكيم اجتماعى ينظر فى شئون الأمة كما تجلى ذلك فى كتابه «نهضة الأمة وحياتها» وكتابه «أين الإنسان؟» أو هو حكيم طبيعى لاهـوتى يبحث عن الروح وخلودها وحالها بعد خروجها من أسر المادة ، وعن المادة وعجائبها وغرائبها ؛ كما تجلى ذلك فى كتبه «جواهر العلوم» ، و«الأرواح» ، و«النظام والإسلام» ؛ أو هو فيلسوف طبيعى يبحث عن المادة والصورة والهيولى والاسطقسات وما يتركب منها من الأجسام النامية وغير النامية ، ونواميس الكون والفساد السارية فى العالم السفلى الذى هو تحت فلك القمر كما ظهر ذلك فى كتابه «نظام العالم والأمم ؟» . .

ذهب كل فريق مذهباً ، وأيده بما تجلى لناظره ؛ وذكر آخرون أنه حكيم إسلامى يفسر القرآن على حسب العصر والزمان ؛ كما بان ذلك منه فى تفسيره للقرآن ، وكما نطق به كتاب «التاج المرصع» ، علاوة على ما جاء بتفسيره الكبير «الجواهر» .

ذلك خلاصة ما يختلفون فيه ، ولعمر الحق إن سير الأبطال زينة المجالس ، وتشعب الأفكار فى حقيقتهم إنما هو أمر طبيعى يأسر القلوب ويطرب الأرواح ويشدها إليهم .

كان للشيخ طنطاوى قدم راسخة فى العلم والتأليف والتصنيف فى الفكر والحكمة والفلسفة ، ولكم صادفت آثاره هوى فى النفوس الحية التى سئمت الجمود ، وحنّت إلى الحقائق ، فطربت وسكرت بما بدا لها من نيرّ علمه ورائع مباحثه !

ألا إنما هى الحكمة ذات الجمال التى يرتاح لها البال ، وتأسر عشاق العظمة والجلال . .

ولقد كان الشيخ طنطاوى نوراً يرشد ويقود إلى الفكرة الإسلامية ، وإلى الوصول إلى الحقيقة عن طريق النظر إلى مخلوقات الله ، والتدبر فى صنعه ، والتفكر فى آلائه ونعمه على العالمين .

وكان له أثر بالغ فى تطوير العلوم وفى إصلاح القوانين وفى التقويم الخلقى ، وبث الفكر السديد ، والرأى الرشيد ، ومحاربة البدع والضلالات .

فإذا ذكرنا النهضة الحديثة ، فهو علم شامخ من أعلامها الخفاقة ، وأقلامها الفاتحة ، وعقولها المفكرة . .

وإذا ذكرنا الحركة الإصلاحية فى المعاهد الدينية ودور التعليم ، فهو واضع أساسها وفاتح بابها ومرسى لبنتها . .

وهو فيلسوف من فلاسفة القرن العشرين ، ومصلح دينى مجدد تقدمى . . وكاتب مجيد مبدع ، ومجادل مقنع قوى الاعتماد على الله ، قليل الحرص على الدنيا .

وضع للإصلاح وللمدنية كتباً ونماذج ، وللسير فى طلب الحكمة قوانين ؛ فإن ذكرت أعماله فليس

لتخليد ذكره ؛ لأن ذكره خالد بآثاره ؛ وإنما ليكون درساً ونبراساً لمن شاء أن يستقيم ، وهدى للمهتدين ، وصراطاً مستقيماً للذين تحن أرواحهم إلى العلوم ، ويميلون إلى السمو ، وتشرئب أعناقهم ونفوسهم إلى المعالى والتقدم إلى مصاف عظماء الرجال والأمم .

ويسعدنى أن أقدم بين يدى القارئ الكريم هذه الدراسة عن هذا الرائد الكبير الشيخ «طنطاوى جوهرى» لعلها تنفع الباحثين من بعدنا . . ولعلها أن تسد فراغاً ، ولعلى أكون قد وفيت الأستاذ حقه علينا لدى أبناء هذا الجيل .

وما توفيقى إلاّ بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

د . عبد العزيز جادو